

عمل المدرسين في البوادي "جحيم" لا يطاق

أستاذة: للوصول إلى عملي أركب رفقة الأغنام والأبقار وحجرات الدراسة بالبوادي تتحول إلى غرف النوم والطبخ



عبد الكريم مفضل

علم "لا تجريبية"

في أحد التعاليق الساخرة، وفي سياق حلقيات التندر بواقع التربية والتعليم التي خُفِل بها الساحة التعليمية، تفتقت سخرية أحد الطرفاء ليرسم مشهداً عثياً. عندما شبه مسيرة ما يسمى «إصلاح منظومة التربية والتكوين» بسبارة تهم بالانحراف على اليسار فيما ساقفها يومه العربات وراءه بواسطة الإشارة الضوئية، بعزمه على الجرح عينا، وكان هذا التشبيه تنويحا لنقاش مجموعة من الفاعلين مربين وآباء أجمعوا خلاله على تأكيد فرضية الإخلاق بعدة بنود يتضمنها الميثاق الوطني، بل التراجع عن كثير من المكتسبات التي ظل يضمنها النظام التعليمي في عز الأزمة التي صيغ الميثاق من أجل تجاوزها. من قبيل ضعف التكوين وتراجع المراقبة والتأطير وتفاقم الاكتظاظ وغيرها من الاختلالات والظواهر السلبية.

ومن ضمن هذه التراجعات التي لاقت استنكارا من قبل الأساتذة، وتذمرا من طرف الآباء لجوء وزارة التربية الوطنية خلال هذه السنة إلى إلغاء نظام التفويج الذي كان أحد ثوابت تدريس العلوم في الثانويات الإعدادية والتأهيلية، والذي تفرضه طبيعة المواد المكونة للعلوم التجريبية، وختمه خصوصية المنهج العلمي المراد إكسابه للتلاميذ، وهو قرار يبدو أنه غير محسوب العواقب بما أنه يتعارض مع إرادة تحقيق غايات وأهداف المنهج التربوي المنوخة من وراء تدريس العلوم، وينسف بالتالي تلك الجهود التي ثمنها الجميع والتي بذلت على مستوى صياغة المقررات وإنتاج الكتب المدرسية والوسائل الديداكتيكية المصاحبة، وكذا التضحيات التي يقدمها الأساتذة في سبيل تحمل المنهج وترجمته إلى تعليمات ملموسة قابلة للقياس والتقييم.

والعذر في إلغاء نظم التفويج بخصوص تدريس العلوم بالإعداديات والثانويات يصير أفح من الزلة عندما يتم القرار تحت طائل الرغبة في توفير احتياطي من الأساتذة، أي هاجس ترشيح الموارد البشرية الذي صار الشغل الشاغل لمتخلف المصالح الإقليمية والجهوية لوزارة التربية الوطنية، وبشكل خاص مصالح الموارد البشرية التي صارت تنجبة ذلك تهيمن. بل صارت قراراتها وإجراءاتها حاسمة في تدبير الشأن التعليمي. لكن ما يزيل عن مثل هذه القرارات شيئا من الغرابة، ربما هو تفاقمها في زمن يتغنى فيه الخطاب الرسمي بأناسيد الإصلاح، على إشفاقت مصطلحات بارقة، ومنقطة بشكل كل مظاهره تتم عن رداة، والإبقاء في وقت لا يلبس فيها سوى الانحدار، والتدبير والحكمة فيما لا يعان الفاعلون وجل المتدخلين سوى الإرجالية والفضوض.

في ختام هذا الحوار، أقترح أحد أساتذة العلوم على الوزارة أن ترفق إلغاء نظام التفويج بقرار مواز يقضي بتغيير اسم «العلوم التجريبية»، إلى «العلوم الملقنة» أو أي مصطلح يفيد تلقي المعارف والمفاهيم العلمية عن طريق الشرح والتفسير والإملاء، وتقوم مدى اكتسابها بتقنية الاستظهار بنوعيه الكتابي والشفوي، لا إلا «علوم تجريبية» بدون جريب في المختبر وبواسطة الوسائل والأدوات الاختبارية وباستخدام المنهج العلمي، وهي مقارنة بيداغوجية لا تستقيم إلا باعتماد نظام التفويج.

وأمواجه المتكسرة على الرمال الذهبية، وجدت نفسها مرتبطة بإحدى فرعيات المجموعات المدرسية، بمنطقة تلوين بالجنوب الشرقي لإقليم تارودانت التي تبعد فقط عن مسكنها بحوالي 270 كلم، وعلينا تصور أولئك القادمين والقادمات من وجدة والبيضاء وطنجة.

فبعصما كانت أنامل يد زهرة تلمس أي زر من الأزهار المنبتة بجدران غرف المنزل ومرافقه وممراته وريهاته حتى تنار أضواء المصابيح، وكانت بمجرد أن تدير مفتاح صابير منزلها بالمطبخ كما في الحمام حتى ينهمر الماء زلالا من الحيطان، كانت زهرة تضغط على زرارة آلة التحكم عن بعد لتتجول من خلال الشاشة الصغيرة عبر جميع أنحاء العالم لتتعرف عليه وعلى أخباره، كانت تنظ من عتبة مسكنها بأكادير فتضع قدميها داخل سيارة الأجرة لتلقها حينما تشتاع وتربغ، وكانت وقت فراغها، عندما تنتهي من الدراسة والتحصيل، وتخلص من اشتغال البيت تطلق سيقانها وسط شوارع وأزقة أكادير وحدانها، لتتذوق متعة التجوال، وتلتذذ بالراحة على طول الشاطئ الذي غالبا ما تقصده ساكنة المدينة مساء وأيام العطلة الأسبوعية. حملتها سيارة النقل السري، عذرا المتجد نفسها وحيدة في جرة منعزلة وبعيدة عن الوار، وأن طريق الوصول إليه محفوف بخطر الموت، يمر عبر مسالك الحبلية العورة، وبمفرجاتها وعلوها ومخدراتها، إذ يستحيل ولوجه عند تساقط الأمطار والثلوج، ويضع الطريق المقطوع للسبب نفسه، الخروج منه إلى باقي العالم.

أما بالنسبة إلى المهام التي أوكلت بها المدير كمدروسة، توضع زهرة، تفوق كل التصورات والاحتمالات والممكن تخيله، إذ كلنفي بتدريس بانواعها المختلفة لأنها جافة لا تقصد، أما الحليب فانصح الأساتذة الذين سيكون قدرهم القهية، للشرب، فيما احتفظ بملابسي منسخة الذي لا يمكن أن يغيب عن المائدة المغربية فلا تحصل عليه إلا بما قد يوجد به السكان علينا.

احتفظ بملابسي منسخة

إننا نجلب الماء الصالح للشرب والغسل، تضفي زهرة، إما من الأبار أو بالمطافئ، وأنا، تقول زهرة استعمل ماء أحد الأبار في حوزة القهية، للشرب، فيما احتفظ بملابسي منسخة إلى حين العودة إلى أكادير من أجل تنظيفها. أما إذا رغبت في الاتصال بأحد أفراد الأسرة والعائلة أو الزميلات والزملاء والأصدقاء، تقول زهرة لا تنعم به إلا إذا صعدت فوق السطح، وبالضبط في زاوية محددة منه، وقد كلنفي لتستمر في العيش هناك، تقول زهرة، تقتصر تغذيتها بالبور على المعلبات لأنها لا تقصد نظرا لانعدام اللجاجات التي لا يشغلها توتر الطاقة الشمسية، أما اللحم فلا يمكن توفره فوق المائدة إلا يوما واحدا في الأسبوع. كما أن المواد الغذائية التي تعرض في السوق الأسبوعي تكون مرفعة الثمن، رغم انعدام



الأساتذة العاملون بالبوادي يواجهون ظروف عيش صعبة (أرشيف)

المغرب، يقول (ل-ب)، بل نحن متضامون معهم مفر علمنا بإحدى الفرعيات بمنطقة إيموزار إداوتان، يقول هشام، استعمال جمع وسائل النقل المتواجدة، ابتداء من حافلة النقل العمومي داخل أكادير، ثم عبر الناقلة، إلى سيارات الأجرة الفائق السري، ثم اللواب والبهائم، إن توفرت، ونستعمل المسافة مشيا على الأقدام، لا أخفبه، تقول (ت-م) أنني احتقرت نفسي أمام صديقاتي عندما علموا أنني استعمل وسيلة النقل السري للوصول إلى عملي، وركب رفقة الماعز والأغنام والإبقار والدجاج والأرانب وجميع اللواب التي يمكن بيعها في السوق، وإذا كانت (ت-م) وجدت بيتا منعزلا لتسكن فيه، فإن مجموعات كبرى من الأساتذة والأساتذات يقضون وقت فراغهم وعيشتهم ومبيتهم وعلمهم داخل حجرات أسماهم، بعد أن تحولت تلك الحجرات الدراسية إلى قاعات متعددة الاختصاصات (التدريس والنوم والطبخ والتصين والاستقبال وأشياء أخرى)، منهم من جعل من مقاعد الدراسة المغطاة بالكارطون سرير نومهم، وآخرون يقفرون الحضانة في زاوية من القسم.

محنة العيش

نحن لا نحترق سكان البوادي وابتاعهم الذين من قهجم لتلقي تعليمهم كبقايا أطفال

زهون مثال صارخ لتردي واقع التعليم القروي

صعوبة النقل وضعف الإيواء بالداخليات وحرمان الفتيات من التمدرس إكراهات تهدد مستقبل التعليم

زهون المعروفة بتساعها وكثرة مدارسها وقراها، ووعورة تضاريسها الجبلية، حيث يضطر التلاميذ من أجل متابعة الإعدادية والثانوية اللجوء إلى السيارات المخصصة للنقل السري، حيث تتوفر المنطقة على أسطول يتجاوز 80 سيارة، جعلها يتحرك في دائرة مدينة مولاي إدريس والفاصين ونزلة بني عمار بحكم تركز المؤسسات الإعدادية والثانوية، في ما يضطر عدد من التلاميذ إلى السير على الأقدام لمسافات طويلة تفصل بين مقرات سكنهم والمؤسسات السالفة الذكر بشكل مكوكي مما ينكح إصعابهم ويؤثر على مسارهم الدراسي، ونظرا لارتفاع نسبة التمدرس في التعليم الإعدادي والثانوي، فإنه بات من الضروري التفكير في حل لمشكل النقل من خلال تخصيص حجرات من شأنها نقل التلاميذ بين القرى النائية والمراكز التي توجد بها الإعداديات والثانوية، وقد تراسر في مارس الماضي حقل توزيع دفعة جديدة من الحالات المنقولة للنقل المدرسي العمومي بالوسط القروي تحت شعار «النقل المدرسي العمومي أداة فعالة لتحقيق النجاح الدراسي»، وتتكون هذه الدفعة من 20 حافلة مستعملت 20 إعدادية قروية بالنيابات التي تعيد بتوفير سائق للحافلة وتأسيس جمعية لتنمية النقل المدرسي.



إعدادية خبير زرهون خصص طابقها العلوي للإيواء للفتيات (خاص)

تعدن إلى مناطقه بسبب عدم مسابرتها التعليم في الوسط الحضري. وفي محاولة إيجابية تبنت جمعية النهوض بالتنمية القروية زرهون مشروع إيواء التلميذات الوافدات إلى إعدادية خبير بمدينة مولاي إدريس، من أجل تخصيص جناح في الطابق العلوي من البناية، والشروع خلال الأيام المقبلة في تجهيزه بالأفرشة والكتبة وتخصص قاعة لالكل، وسبق لحسن أوريد والتي جهة مكناس رفقة محمد أضرور مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين ومحمد دلال نائب الوزارة بكناس، أن قاموا قبل أسبوعين بزيارة تفقدية لهذا الجناح النموذجي استعدادا لاستقبال التلميذات المهديات بالانقطاع عن الدراسة خلال الموسم الدراسي الحالي، بعد اجتيازهن للسنه السادسة، وفي هذا السياق ذكر أحمد الحديدي رئيس الجمعية أن هذا المشروع يعد بادرة إنسانية، على اعتبار تشجيع الفتاة القروية على التمدرس، إذ أن ما بين 30 و50 تلميذة لا تلتحقن بإعدادية خبير بسبب مشكل الإيواء، ومن هذا المنطلق يضيف الرئيس جاعت فكرة تأسيس الجمعية من أجل مساعدة التلميذات المنحقات بالإعداديات والثانوي من الوسط القروي على تيسير ظروف تدرسهن، وتأطير الأسرة القروية في مجال تعليم الفتاة، وتنظيم أنشطة تروية من أجل إبداع التلميذات الوافدات من الوسط القروي بالمنطقة إلى الوسط الحضري مع تقديم مساعدة الحاجات منهم.

جمعية لتشجيع تدرس الفئات

رغم تزايد نسبة التمدرس بمنطقة زرهون في صفوف الذكور، فإن نصيب الإناث عرف تراجعا، والسبب هو ضعف البنية الأيوائية خلال المرحلة الإعدادية والثانوية، حيث تتوفر المنطقة فقط على داخلية الأولى بزيارة بني عمار، وهي غير كافية لإيواء تلاميذ الجماعة القروية، نزلة بني عمار، بشرافرة وكريمة بنسالم، والثانية بتاونات الخوارزمي بمدينة مولاي إدريس التي بنيت للذكور فقط والذين يتابعون دراستهم الإعدادية والثانوية، إلى جانب وجود دار الطالب (الخيرية). وفي ظل انعدام قسم للداخلية خاص بالإناث، اضطر الآباء إلى منع بناتهم من متابعة دراستهم تحت طائلة ضعف دخلهم، وقهرهم الذي لم يسمح لهم باستئجار البيوت لإيائهم أو ضمان مصاريف تغذيتهم ونقلهم، وهو ما أدى إلى ارتفاع نسبة الهدر المدرسي، ورغم استفادة التلميذات من المنح فقد تم إرسالهن إلى إعدادية علان بن عبد الله بمدينة مكناس، ونظرا لارتفاع المستوى التعليمي بهذه المؤسسة الواقعة وسط المدينة الجديدة، فإن التلميذات القرويات

صعوبات التمدرس ببوادي الحسيمة تفوق الجهود المبذولة للتنمية القطاع

رغم الجهود المبذولة للرقى بمستوى التعليم بالجل القروي بإقليم الحسيمة، مازال التعليم داخل القرى والمناطق الجبلية المهزولة بالإقليم بشكل عائقا ضد التنمية بالمنطقة، ما جعل جل البرامج التي جاء بها الميثاق الوطني للتربية والتكوين صعبة التطبيق. ويعتبر إقليم الحسيمة من المناطق التي تستنزفها مفضلة الهير المدرسي نظرا لمكوناتها الجغرافية وتضاريسها الصعبة التي تشكل عائقا أمام تلاميذ المناطق النائية التي تتعرض لمشاكل عدة، منها صعوبة المسالك وبعد المدرسة عن التجمعات السكنية. واعتبر المهتمون بالشأن التعليمي بالمنطقة الهير المدرسي بالحسيمة ظاهرة نبوية بسبب الطبيعة الجغرافية للمنطقة، وكذا هشاشة بنيتها التحتية. وأجمع العديد من المصانر أن تلاميذ العالم القروي بإقليم الحسيمة يعيشون وضعيا اجتماعيا صعبا، نظرا لوعورة المسالك التي يقطعونها للوصول إلى مدارسهم، ما يجعلهم يواجهون مخاطر الطبيعة. وتفتقد جل المؤسسات التعليمية بالمناطق القروية بالحسيمة أدنى شروط الصحة والسلامة، كما تنقصها المقومات الأساسية للمؤسسة التعليمية، من سببب في انقطاع التلاميذ عن الدراسة بسبب بعد المسافة بين المدرسة والسكن وعدم توفر الطرق، وكذا التجهيزات الأساسية، من أقسام في المستوى ومسكن لأساتذة التعليم الابتدائي ووسائل النقل.

ويرى العديد من المصانر رجال التعليم العاملين بالعالم القروي أن البنات المخصصة لاستقبال المتعلمين أصبحت جعلها مهترئة ومخزية، مع تسجيل انعدام المرافق، مؤكدا أن هذه الوضعية لا تتماشى وشعارات الجودة وتشجيع التمدرس بالعالم ذاته، والشراكة التي ما فتئت ترفعها الوزارة. وتحدث الأساتذة عن أن حجرات بعض الفرعيات لا تتوفر على سيورات تليق بعند المتعلمين، ولا بالأهداف المرجوة من التدريس، والنوافذ التي يمكن أن تقي المرس والمتمدرس من لسعات البرد القارس والحر. ويؤكد العديد من الآباء أن عدة أقسام ببعض الفرعيات بها تصدعات وشروخ عميقة، بل إن سقفها أصبح لا يجيب إلا النزر القليل من ماء المطر.

وتعتمد في بعض الفرعيات سقفاتها تقني التلاميذ حر الشمس، وزخات المطر في فصل الشتاء، فضلا عن غياب بنايات يستريح داخلها الأطر التربوية بالمؤسسة، ووجود بنايات تسمى تجاوزا «مطاعم مدرسية»، وأخرى مهترئة مهددة بالسقوط في كل لحظة. ويجد التلاميذ القادمون من دواوير مختلفة، خاصة بمناطق إزمورن وكثامة وبعيد الغابة السواحل وتساوات والرواضي صعوبة كبيرة للوصول إلى مدارس تزداد مشاكلها موسما بعد آخر، وغياب وسائل نقل توصلمها إليها، بسبب غياب البنات التحتية، وتزيد مخمخ خلال فصل الشتاء.

وإفاد أحد أساتذة التعليم الابتدائي بالحسيمة أن بعد المؤسسات التعليمية عن التجمعات السكنية وعدم تعيد المسالك والطرق المؤدية إليها يسبب إرهاقا للتلاميذ ويؤثر على مستوى التركيز أثناء الدرس.

وتجبر الظروف المناخية الصعبة بمناطق كثامة وبنى عمارت وإسكان تلاميذ الفرعيات على التغيب عن الدراسة، جراء التساقطات الثلجية التي تعرفها المناطق المتكورة ابتداء من شهر دجنبر من كل سنة. واعترف مصدر مطلع أن ووعورة المسالك وصعوبة الوصول إلى مقرات العمل والعيش بها، وتعين الأساتذة والأساتذات الشباب المتحدرين من مناطق مختلفة بإقليم الحسيمة، عوامل تساع على ارتفاع ظاهرة تغيب هيئة التدريس عن العمل بالعالم القروي، خاصة بعد التساقطات المطرية والثلجية التي تعرفها بعض المناطق. ويات انعدام الإلانة العمومية في الطرق المؤدية إلى العديد من الفرعيات بشكل خطرا على التلميذ، خاصة في الفترة الممتدة ما بين أكتوبر وفبراير.

وتساهم طبيعة المناطق الجبلية بالمنطقة المغترقة إلى التجهيزات والبنات التحتية الأساسية في تناسل الإقسام المشتركة.

ويطلب العديد من الآباء بإحداث بعض المرافق المدرسية والفضاءات التربوية من مراحض وأسوار، وسقيفات تقني تلاميذ العالم القروي الحر والقر، وكذا توفير الماء الصالح للشرب بالمدارس وربطها بالنشبة الكهربائية، وحماية ممتلكاتها من التخريب والعبث.

ويضطر بعض الأساتذة العاملين بالمناطق النائية بالحسيمة إلى الهروب أحيانا مما يعاونه بسبب عنف الحوادث بالعالم القروي وجراء ظروف العمل القاسية في الأرياف والبوادي والقرى والدواوير والمدائر النائية بالمجموعات والوحدات المدرسية أو الفرعيات والأقسام المتناثرة هنا وهناك فوق قمم الجبال وفي مخدراتها وسفوحها وأوديةها وسهولها، خاصة أن الوصول إليها يتطلب قطع مسافات طويلة في المسالك الوعرة والطرق غير المعبدة، ركوبا على متن الشاحنات أو البكوبات، أو سير على الأقدام ساعات طوالا، ناهيك عن صعوبة الإلتحاق بالمواعيد التي تم تعيينهم بها، لضغط أوقات بنات تحتية وفضاءات استقبال هؤلاء وانعدام الماء والكهرباء.

جمال الضكيكي (الحسيمة)

عبد العالي توجد (مكناس)